تجلّيات الإغتراب في قصص المقاومة لدى ألفة الإدلبي (قصة "من أجل الأرض والكرامة" إنموذجاً)

الأستاذ الدكتور مجيد صالح بك

طالب الدكتوراه علاء حموزي

alaahmoozi@gmail.com

جمهورية إيران الإسلامية

قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة العلامة طباطبائي

The Manifestations Of Alienation In Resistance Stories Of Olfat Al-Idlibi (The Story "For Earth And Dignity" As A Model)

Majeed Salih Beg
Professor of Arabic Language and Literature at the University of Alama Tabatabai
Alaa Hmoozee
PhD student in Arabic language and literature at the University of Alama Tabatabai

الملخص:

الإغتراب ظاهرة قديمة بقدم الإنسان نفسه ، والإغتراب على اختلاف انواعه هو عزلة وألم يعتمل في النفس ، ويرجع تعدد أشكاله يرجع لتنوع أسبابه ومصادره ومظاهره . وهو من العناصر المهمة المؤثرة على لغة واسلوب وشخصيات الفن القصصي والروائي ، فقد جاء الأدباء العرب بأعمال تعبر عن الواقع الإغترابي للشخص العربي والفلسطيني ، ومن بين هؤلاء الأديبة السورية ألفة الإدلبي التي عانت من ظروف صعبة في حياتها وعاصرت الثورة السورية والاحتلال الفرنسي والحروب العربية – الاسرائيلية ، ولطالما كان صوتها معبرا عن معاناة المرأة العربية من قسوة المجتمع وظلم المحتل .

إن قصة " من أجل الأرض والكرامة" هي من قصص ألفة الإدلبي المقاومة ضد المحتل الصهيوني، والتي تجلت فيها عدة انواع من الاغتراب في تصوير الشخصيات الرئيسية والثانوية وسلوكها وكذلك في المكان والزمان ، وتنوعت ردود فعل الشخصيات على ما عانته من اغتراب ، وبينت الدراسة ان الكاتبة رمزت باغتراب شخصياتها للاغتراب العربي والفلسطيني عامة ، لقد اتبعت هذه الدراسة المنهج التحليلي الوصفي في البحث.

الكلمات المفتاحية : الإغتراب – ألفة الإدلبي – قصص المقاومة – من أجل الأرض والكرامة .

Abstract

The alienation, whatever its kind, is an isolation and pain in the soul, and the multiplicity of its forms due to the diversity of causes, sources and manifestations. Alienation is an important element affecting the language, style and characters of narrative art and novelist. This was evident in the Syrian literature writer Olfat Al-Idlibi, who suffered from difficult circumstances in her life and was accompanied the Syrian revolution, the French occupation, and the Arab-Israeli wars. Her voice expressed the suffering of Arab women from the harshness of society and oppression of the occupier. The story of "For Land and Dignity" is one of the resistance stories of Olfat Al-Idlibi against the Zionist occupier, in which several types of alienation were manifested in the characterization of the main and secondary characters and their behavior as well as in place and time. And the characters have varied reactions against the suffering of alienation. The sense of alienation was also reflected in narrative and language. The study showed that the writer symbolized the expatriate characters of Arab and Palestinian alienation in general. This study was followed descriptive analytical approach in the research.

Keywords : alienation , Olfat Al-Idlibi , resistance stories , for earth and dignity

١. المقدمة :

الاغتراب ظاهرة قديمة ، وقد لا نبالغ اذا قلنا انها قديمة قدم الانسان نفسه، اذ منذ اللحظات الاولى لتكون المجتمعات السكانية ، صاحبتها مجموعة من الازمات او المشكلات التي نتج عنها بعض مظاهر الاغتراب التي عانى منها الانسان (ابو شاويش وعواد،٢٠٠٦م :١٢٥). ان ابرز المفكرين والفلاسفة الذين جاءوا بعد "هيجل "واهتموا بتناول الاغتراب هم "كارل ماركس" والوجوديون ومنهم "سارتر" (خليفة،٢٠٠٣م :٢١،٢٢).

اما عن غربة واغتراب الانسان العربي" فان الانسان العربي وبخاصة الفلسطيني يعاني من سلسلة متنوعة من المخاوف، فهو يواجه الخوف من الاستعمار، ومن الصهيونية ، والخوف من الضغوط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، والخوف من القهر ، والخوف من السلطة ، واجهزة الامن وغيرها ، ويصاحب كل خوف الوان من القهر والقمع والاكراه والتعذيب ، وهذه كلها تؤدي الى ان يصبح الانسان مغترباً في ارضه ووطنه"(شاويش وعواد،٢٠٠٦: ١٢٥) .

لقد جاء الادباء العرب بأعمال تعبر عن الواقع الاغترابي للشخص العربي والفلسطيني ومن هؤلاء الأدبية السورية ألفة الإدلبي والتي عانت من ظروف صعبة في حياتها وعاصرت الثورة السورية والاستعمار والنكبة والنكسة فجاء صوتها معبرا عن معاناة المرأة العربية من قسوة المجتمع ومن ظلم المحتل .تبين هذه الدراسة جانباً من حياة هذه الكاتبة الرائدة وما عانته من إغتراب انعكس في قصصها ورواياتها، وتحاول الدراسة ان تبين تجلّيات ظاهرة الاغتراب وانواعها ومصادرها ورد الفعل كسلوك بديل للإغتراب في احدى قصص المقاومة "من أجل الأرض والكرامة " من مجموعة "ويضحك الشيطان " التي كتبتها الكاتبة عام ١٩٧٠ م. هذه القصة بالإضافة لثلاث قصص اخرى من نفس المجموعة تدور حول مقاومة المحتل . اتبعت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي في البحث.

١-١. الهدف من الدراسة :

جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على ظاهرة الاغتراب لارتباطها المهم بالأدب والتأثير فيه مباشرة او التأثير بالأدباء فتنعكس الظاهرة على أدبهم وتثريه بمشاعر المعاناة

الانسانية .فبحثت الدراسة عن تجليات ظاهرة الاغتراب في قصة" من أجل الأرض والكرامة" للكاتبة السورية " ألفة الإدلبي"، وبينت انواع الاغتراب فيها وكيف تصرفت الشخصيات كمواجهة وحل بديل للإغتراب.

١-٢. أسئلة البحث :

- ما هي تجلّيات ظاهرة الاغتراب وأنواعها في قصة " من أجل الأرض والكرامة " للكاتبة ألفة الإدلبي؟
- ما هو رد الفعل والسلوك البديل للشخصيات على ظواهر الإغتراب في هذه القصة؟

١-٣. ضرورة البحث :

جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على أحد آثار الكاتبة ألفة الإدلبي وسبر اغوار إحدى قصصها في المقاومة ، لتكشف عن ظاهرة الاغتراب فيها ، وعن ردود فعل الشخصيات كمواجهة للاغتراب .

١-٤. الدراسات السابقة :

هناك الكثير من الكتب والدراسات والمقالات التي بحثت في موضوع الإغتراب في الادب الشعري والنثري سنورد بعضا منها:

١.كتاب لحليم بركات بعنوان" الاغتراب في الثقافة العربية- متاهات الانسان بين الحلم والواقع".٢.رسالة ماجستير لزهرة بن عيش بعنوان "الغربة والاغتراب في رواية غائب طعمة فرمان" ٣.رسالة ماجستير لسماح بن خروف بعنوان " الإغتراب في رواية كراف الخطايا-لعبد الله محيلح" ٤.مقالة لمريم جبر فريحات بعنوان " الحس الإغترابي في اعمال روائية لغسان كنفاني " ٥.مقالة لحماد حسن ابي شاويش وابراهيم عبد الرزاق عواد بعنوان " الاغتراب في رواية البحث عن وليد مسعود لجبرا ابراهيم جبرا" ٦.مقالة لأريج كنعان بعنوان "الاغتراب والوجودية في اغاني الحارس المتعب لبلند الحيدري".٧.مقالة لحامد صدقي وعبد لله حسيني بعنوان " مشكلة الإغتراب الاجتماعي في المكان الضد- قراءة في رواية الحي اللاتيني".٨.دراسة لمحمد راضي جعفر بعنوان" الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر- مرحلة الرواد".٩.بحث للدكتور قيس صبيح

العطواني بعنوان" التمرد في شعر الاغتراب عند بلند الحيدري". هذا ولم نعثر على دراسات حول الكاتبة ألفة الإدلبي .

٢.ظاهرة الاغتراب

٢-١. الاغتراب في اللغة :

جاء في مختار الصحاح (غ ر ب)-الغربة والاغتراب تقول : (تغرب واغترب) بمعنى فهو (غريب) و(غرب) والجمع (غرباء).والغرباء ايضا الأباعد. و(التغريب) النفي عن البلد و(اغرب) جاء بشيء غريب ، او صار غريباً.(الرازي، ١٩٨٦م : ١٩٧). وجاء في لسان العرب لابن منظور" والغرب الذهاب والتنحي عن الناس وقد غرب عنا يغرب غربا وغرب واغرب وغربه واغربه نحاه وفي الحديث ان النبي(ص)امر بتغريب الزاني سنة اذا لم يحصن وهو نفيه عن بلده والغربة والغرب النوى والبعد وقد تغرب"(ابن منظور، ١٩٩٤م ،ج١،باب(غرب):٦٣٨).

اما عن ما يقابل مصطلح "الاغتراب" في اللغة الانجليزية ،مصطلح "Alienation".(خليفة،٢٠٠٣م :٢٣).و كلمة "Alienatio" في اللغة اللاتينية تدل على "حالة فقدان الوعي ، وعجز او فقدان القوى او الحواس..."(حماد،١٩٩٥م:٤٠ نقلا عن يونسي، ٢٠١٢ م :٢٦).

٢-٢. مفهوم الإغتراب :

اختلف الباحثون في تعريف معنى محدد لمفهوم الإغتراب ، فقد توصل الباحث الامريكي "ديفيدز" عام ١٩٥٥ بدراسة ميدانية الى ان الإغتراب يتألف من خمسة توجهات متشابكة هي : التركيز على الذاتية وعدم الثقة والتشاؤم والقلق والاستياء ، بينما حدد عالم الاجتماع الامريكي "سيمان" عام ١٩٥٩ خمسة مفاهيم للإغتراب هي : العجز ، فقدان المعايير ، غياب المعاني ، اللاإنتماء والإغتراب الذاتي. (بركات،٢٠٠٦: ٣٦). ويرى "مارتن" ان "الاغتراب كمفهوم وظاهرة وحالة روحية ترجع جذورها في علم النفس وعلم الاجتماع الى الشعور بالانفصال والنفور من بعض الحالات والاشخاص والقيم او من المجتمع بشكل عام"(نقلا عن يونسي،٢٠١٢م :٣٨).والاغتراب هو تجربة نفسية شعورية عند الفرد العاجز بحيث لا يتقبل الواقع

والقيم السائدة فينسحب من المجتمع او يرضخ له مع نفوره منه او يتمرد عليه(ابو شاويش و عواد، ٢٠٠٦م:٦).والاغتراب" هو حالة انسانية نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد، فتجعله غريباً وبعيداً عن واقعه الاجتماعي"(العطواني، بلا تا:٥).

٢-٣. مراحل الإغتراب :

هناك ثلاث مراحل مترابطة للاغتراب هي:

١.مرحلة التهيؤ للاغتراب ،وفيها يشعر الفرد بسلب معرفته وحريته ويعجز بالسيطرة على الحياة فتفقد الاشياء معانيها ويفقد الفرد المعايير والاسس التي تحكمه(يونسي،٢٠١٢م:٦٠).

٢.مرحلة الرفض والنفور الثقافي، وفيها يعاني الفرد من عدم الرضا ويتناقض عنده ما هو واقعي مع ما هو مثالي فيعارض القيم السائدة فيشعر بالقلق والغضب والغرور والكراهية والاستياء(نعيسة،٢٠١٢م:١٣٠).

٣.وتظهر في هذه المرحلة ردة فعل سلوكية للشخص المغترب كمواجهة لاغترابه اما بالتكيف مع محيطه او الانسحاب او العزلة او الخضوع او التمرد او الثورة لتغيير واقعه المعاش(بركات، ٢٠٠٦م:٦٢).

٢-٤. مصادر الاغتراب:

لكي ندرس ظاهرة الاغتراب وارتباطها بالأدب لا بد ان نعرف مصادر الاغتراب ويمكن ايجازها كما يلي:

١.اسباب اجتماعية وثقافية ، وتتمثل في:

- ضغوط البيئة الاجتماعية والفشل في مقابلتها.
- الثقافة المريضة الهدامة والمعقدة.
- التطور الحضاري السريع وعدم القدرة على التكيف معه نفسياً.
- اضطراب التنشئة الاجتماعية.
- مشكلات الاقليات والتعصب والتفرقة في المعاملة.
- تدهور نظام القيم .
- الضلال والبعد عن الدين والضعف الاخلاقي.

(يونسي،٢٠١٢م:٦٣).

٢.ظاهرة تبعية بعض الدول ومنها العربية للنظام الاقتصادي العالمي والعولمة.
٣.سلطوية الانظمة بدءاً من العائلة وانتهاءً بالدولة في الغالبية العظمى من البلدان العربية.
(بركات، ٢٠٠٦م :٦٩).
٤.اسباب نفسية، وتتمثل في:
- الصراع بين الرغبات وبين الحاجات التي لا يمكن اشباعها.
- الاحباط وخيبة الامل في تحقيق المصالح الخاصة.
- الحرمان كما في حالة الحرمان من رعاية الوالدين ورعاية المجتمع.
- الخبرات الصادمة نتيجة عوامل اخرى اقتصادية وسياسية.
(يونسي،٢٠١٢م:٦٢).

٢-٥. أنواع الإغتراب :

ان تعدد أنواعه يرجع لتنوع أسبابه ومصادره ومظاهره . هذا وسنتطرق لأهم أنواع الإغتراب :

١. الإغتراب المكاني : هو ما يراود الانسان من مشاعر جراء اضطراره للانتقال من مكان يفرض عليه مفارقته لمكان آخر ، حيث ان التآلف مع المكان يتبلور على شكل شعور بالمواطنة والمحلية وكأنه الكيان الذي لا تحدث الاشياء بدونه ولا يلبث أن ينطبع في ضمير الانسان(ياسين النصير،١٩٨٠: ٥:نقلاً عن بن عيش ، ٢٠١٥ : ٣٢-٣٣).
٢. الاغتراب الروحي (الديني): هو انفصال الانسان عن الله، وانفصاله عن الطبيعة وملذاتها وشهواتها وانفصال الانسان المؤمن عن مثيله الغير مؤمن(يونسي، ٢٠١٢م:٥٢). هو شعور بعض الافراد المتطلعين لعالم أمثل ويرتبط بوجود الدين في أي زمان ومكان ، كما عند المتصوفة حيث يشعرون بالإغتراب عن الدنيا ويرونها زائلة وفانية متوجهين الى الله والعالم الاخر ساعين لخلاص الروح من العالم الأرضي ومن الجسد في هذا العالم.(بن عيش،٢٠١٥م:٣٤).والاغتراب الديني يتعلق بانفصال الانسان عن الله أي يتعلق بالخطيئة وارتكاب المعصية(خليفة،٢٠٠٣م:٢٤،٢٥).

٣. الاغتراب الاجتماعي : ويشعر به الانسان نتيجة تجاهل او تهميش اجتماعي او ثقافي، ومن مظاهره الانسلاخ عن المجتمع والعزلة وعدم التكيف واللامبالاة واللاإنتماء .(بن عيش ، ٢٠١٥ :٣٦).ويمكن تعريف الاغتراب الاجتماعي على انه " عجز الفرد عن التواصل اجتماعياً مع عادات وتقاليد الثقافة التي يعيش فيها فيكون ميالاً الى العزلة عن الاخرين وفاقداً للقدرة على ادراك احداث الحياة بصورة موضوعية وبعيدة عن الذاتية فضلاً عن شعوره بعدم جدوى الحياة".(مبارك، بلا تا:٦٣).

٤. الاغتراب النفسي(الذاتي) : وهو يعبر عن "ما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية وما يستشعره من غربة في العالم وفتور او جفاء في علاقته بالآخرين" (فريحات، ٢٠١٠م:٣٠٦). ويطلق عليه علماء النفس "الإغتراب عن الذات" ويتمثل بزوال الارتباط بين الذات وبين ما عليه الانسان او ما كان عليه ، بما في ذلك ارتباط حياته الراهنة بماضيه، ويحصل حين يرصد الانسان سوء الواقع الذي يعيش فيه فيعمد للهروب من الواقع ليصنع لنفسه عالما نرجسيا منغلقا منفصلا عن واقعه الفعلي.(بن عيش،٢٠١٥م:٣٥). ويمكن التعبير عن الإغتراب النفسي على " انه شعور الفرد بالانفصال عن الاخرين او عن الذات او كليهما (بايك ومايكل،٢٠٠٢: ٢٣ : نقلا عن نعيسة،٢٠١٢: ١٢٠).

٥.الإغتراب الكوني (الوجودي): ويتمثل فيما يراود الانسان من شعور بالاغتراب او الغربة ازاء البيئة المحيطة به ، سواء كانت البيئة الطبيعية ام البيئة الاجتماعية ، ام الكون برمته ، فينشأ على الاغلب من خلل في الموازنة بين الذات والكون ، او الذات والجماعة او الذات والطبيعة(بن عيش،٢٠١٥م: ٣٣).

٦. الاغتراب السياسي : وهو من اكثر الانواع شيوعاً في مجتمعاتنا العربية خصوصا ويتمثل بالعجز السياسي للفرد في تصدير قرارات مؤثرة سياسياً، وفقدان المعايير المنظمة للسلوك السياسي وفقدان الفرد لدوره في العملية السياسية وعدم الاكتراث به من قبل السلطات(خليفة،٢٠٠٣م:٩٧).

٧. الإغتراب الزماني : وهو من الامور الغامضة لغموض ارتباط الانسان بالزمن ، فالزمن متغير لا كالمكان الثابت نسبيا، فالإنسان بحاجة للفكر وللذهن بالإضافة

للحواس للإحساس بالزمن. ومن مظاهره التبرم والضجر من وقائع واحداث العصر الحاضر والافتتان باسترجاع مواصفات العصر الماضي.(بن عيش ، ٢٠١٥ :٣٨-٣٩).

٨.الاغتراب العاطفي: ان من طبائع "الأنا" ميلها الى العزلة التي تتهددها دائماً، ولكن" الأنا" تعمل باستمرار لتنمية قدرتها-عبر سعي متواصل- على مواجهة عزلتها، لتحافظ على خصائصها وحريتها من جهة، وان تعلو على نفسها من خلال الاتحاد بـ"أنا اخرى" تفهمها فهما صادقاً من جهة اخرى، وبعكس ذلك تتعمق العزلة(جعفر،١٩٩٩م:١٨).

٢-٦. نتائج الإغتراب السلوكية :

١. الانسحاب او اللامواجهة ، وكثيراً ما يتم الانسحاب بأشكال مختلفة بحسب الظروف لتسهم في انقاذ الفرد المغترب ولو شكلياً من اوضاعه المزرية، كالهجرة او العزلة واللامبالاة داخل المجتمع، او فقدان الدين واللجوء للطائفية بدلا عنه ، وهو خيار مؤقت على امل حدوث التغيير. ويكون الفرد المنسحب موضع ازدراء لانه مثال للتشاؤم واليأس والفشل ولربما يلجأ لحركات ومنظمات راديكالية .

٢. الخضوع أو الرضوخ والاستسلام للأمر الواقع والتكيف معه على الاقل ظاهرياً والنفور منه ضمنياً عندما يستحيل الهرب . ومن أساليبه التملق والمجاملة والتحبب والتقية والتسويغ والتنازل والمساومة، وقد يؤدي في نهاية الامر الى الانسجام بدل النفور. وهو ايضاً كالانسحاب من حيث انه خيار مؤقت لحين تبدل الاوضاع التاريخية وهو ايضاً موضع ازدراء كالهرب من المشاركة في تغيير الاوضاع السائدة. وهو تثبيت للواقع لا تجاوز للإغتراب، ويعرف في علم النفس الاجتماعي بالتنافر الادراكي.

(بركات،٢٠٠٦م:٨٢، ٨٣).

٣. هناك وسائل يلجأ اليها الانسان للتغلب على اغترابه منها: الحب والصداقة والفن، فيتخذ المغترب الحب منهجاَ تعويضياَ ولكن اخفاقه في الحب سيولد اغترابا عاطفيا يضاف للاغتراب الاخر.(جعفر،١٩٩٩م:١٨).

٤. هناك بديل من المواجهة بالتمرد الفردي او العمل الثوري على تغيير الواقع من خلال منظمة سياسية او اجتماعية. وهو افضل من الانسحاب او الخضوع كحل لمشكلة الاغتراب. (بركات،٢٠٠٦: ٨٣).

٢-٧. الإغتراب في الادب :

من اول مظاهر اغتراب الاديب في حياته هو انعزاله عن مجتمعه ، أي بمعنى احساس الاديب بالمنافسة التي تفصله عن مجتمعه في مجال القيم (صدقي وحسيني،٢٠١١: ٤١). لقد انعكست ظاهرة الاغتراب على الأدب كما على باقي اوجه النشاط الانساني ويمكن القول انه اصبح من المألوف في الوقت الراهن بصورة متزايدة ان نسمع عن تفسير الحياة في عصرنا الحالي من خلال مفهوم الإغتراب . فيعمل الاديب على نقل رؤيته واثر التحولات المحيطة به في بنيته النفسية والفكرية ، فاخذ بعض الباحثين يميلون الى اعتبار ان كل رائد في الفن والادب يحوي في داخله بذور إغتراب ولابد ان توجد في كل عمل ادبي او فني جذور إغتراب منذ القدم وحتى الان .(فريحات،٢٠١٠م:٢٩١).

أما عن الاغتراب على مستوى الوضع العربي فإن التغيرات السياسية المتوالية في العالم العربي ، والطبقية الاقتصادية و الاجتماعية ، قد أسهمت في اضعاف الواقع الاجتماعي والثقافي ، فأدرك المثقف العربي واقع انهيار المعايير والقيم التي تحكم سلوك الفرد وتصرفاته ، مما أدى إلى تفاقم إحساسه بالغربة والانعزال والتهميش من قبل المؤسسات السياسية والاجتماعية القائمة، مما جعله يواجه واقعاً يبعث على اللامبالاة واليأس والتشاؤم وانكسار الذات. وقد صورت بعض الأعمال الروائية العربية المبكرة نموذج المثقف الذي يعاني أزمة مواجهة الواقع وعجزه عن التكيف مع هذا الواقع (ابو شاويش و عواد،٢٠٠٦م:١٢٧).

ليست الرواية موضوعا او فكرة او رسالة، انها قبل كل شيء تجربة انسانية وجودية حميمية تهز كيان الروائي وتحرك فيه كل طاقاته الابداعية والتأملية والتخيلية، فيكتبها في محاولة لاكتشافها بكل ابعادها النفسية والاجتماعية. (بركات،٢٠٠٦م:١٦٣).

من الممكن تصنيف الرواية العربية إغترابياً او حسب تركيزها على أي صنف من الحلول المختلفة لتجاوز الاغتراب وكما يلي:

١.رواية الغربة والمنفى، والنفي اما ان يكون قسرياً حيث يطرد المنفي من بلده بقرار سياسي من قبل السلطة، او ان يكن طوعياً حيث ينعزل الكاتب داخل بلده ويسمى "بالنفي الداخلي"، او ان يكون هجرة وهرباً من الاضطهاد الى بلد اخر يؤمن له الحرية والعمل وكل ما يفتقده في بلاده.(المصدر نفسه:١٤٥، ١٤٦). فإما من سكنوا الهجر نفياً قسريا ام هجرة طوعية فيستطيعون ان يعبروا عن قضايا الامة بحرية لبعدهم عن السلطات السياسية في بلدانهم ، واما من ظلوا في بلدانهم وكان نفيهم داخليا او في السجون فكانوا يكتبون بتعبير رمزي في بلدانهم خوفا من السلطات(المصدر نفسه:١٤٨).ورواية المنفى ذات علاقة عميقة بمسائل الابداع الادبي والغربة أي الاغتراب والهجرة معاً ويصاحبه احساس عميق بالنفي نتيجة للانتماء الثقافي العربي وعدم الاندماج في الثقافة العامة للمجتمع الجديد في المهجر(المصدر نفسه:١٥٨).

٢.رواية غربة الذات بين المدينة المحاصرة والمدينة الملونة(المصدر نفسه:١٥٦).

٣.رواية الخضوع، وتصور نقد وفضح المجتمع و سلطويته بإسلوب حذر وغير مباشر، وتصور ان الفرد ما يزال لا يقوى على الخروج عن ارادة الجماعة حين تعارض ارادته(المصدر نفسه:١٦٤).

٤.رواية اللامواجهة ، هي مثل رواية الخضوع من حيث نقد المجتمع الا انها تصور الفرد في حالة هروب من الواقع الاجتماعي لا في حالة خضوع(المصدر نفسه:١٧٥).

٥.رواية المجابهة والتمرد الفردي، عندما تقلصت نزعة الخضوع نتيجة للتحولات على ارض الواقع والوعي بعد الانقلابات والثورات، بدأت تنتشر النزعة النقدية التمردية

في الكتابات العربية ونزعات المواجهة من خلال الدخول في حوار متوتر مع الذات والاخر والمجتمع(المصدر نفسه:١٧٨، ١٧٩).

٦.رواية التغيير الثوري، وهي ثورة على الواقع لا تصويرا حياديا له ، وهي نتاج فني ينبثق عن رؤية جديدة شاملة للمجتمع والانسان ومن صفاتها:

- تصور المجتمع في حالة تناقض وصراع وتبحث في علاقات القوة والاستغلال وتناصر المضطهدين والمقموعين.
- تصور الانسان واغترابه في المجتمع والعائلة والدين والسلطة ، وتسلك طريق الصراع ضمن حركات اجتماعية لاستبدال النظام القائم باخر.
- ترفض الثقافة السائدة.
- تهدف لخلاص المجتمع وليس لخلاص الفرد فحسب.
- تجمع بين الذاتية والموضوعية.
- هي ثورة اجتماعية وليست سياسية فحسب.
- تعتمد الابداع لا التقليد.

(المصدر نفسه:١٨٢، ١٨٣).

٣.موجز عن حياة ألفة الإدلبي :

وُلِدَت ألفة الإدلبي في مدينة دمشق في حي الصالحية المنحدر من جبل قاسيون في عام ١٩١٢ م من أبوين دمشقيين هما "أبو الخير عمر باشا" و"نجيبة الداغستاني" وكانت البنت الوحيدة بين خمسة أخوة ذكور. يعود نسبها من أبيها إلى أسرة دمشقية أصل، ومن أمها، إلى أسرة داغستانية، نفى السلطان العثماني محمود الثاني جدها الشيخ محمد حلبي، وقسره على مغادرة وطنه داغستان مع أسرته، بسبب نضاله لتحرير بلده من الاحتلال الروسي، ليقيم نهائياً بدمشق، مدارياً عمره كله لواذع الحنين إلى بلده البعيد. تلقت علومها في مدرسة تجهيز البنات، في عام ١٩٢١ أُصِيبَت بالحمى التيفية، ونجت منها بأعجوبة، مما أخَّرَها عن الالتحاق بالمدرسة سنة كاملة، ومنذ بداية تفتحها على الحياة، أظهرت ميلاً واضحاً نحو الأدب. فكانت تُقبِل على القراءة، وحفظ الشعر، وتمضي الساعات الطوال مع أمهات الكتب. في عام ١٩٢٩ تزوجت ألفة من الطبيب حمدي

الإدلبي دون أن تراه، وأنجبت له ثلاثة أولاد هم: ليلى وياسر وزياد. وكانت قد انقطعت عن متابعة تعليمها بسبب هذا الزواج المبكر. أنجبت ألفة الإدلبي في عام ١٩٣٢ ابنها ياسر وأصيبت بمرض أقعدها في الفراش سنة كاملة انقطعت خلالها إلى القراءة انقطاعاً كاملاً، حيث كانت تقرأ عشر ساعات متواصلة يومياً، بعد شفائها من مرضها تابعت القراءة وعاشت حياة طبيعية. انتسبت خلال تلك الفترة الى عدة جمعيات خيرية وثقافية كجمعية دوحة الأدب. في عام ١٩٣٧ أنجبت ابنها زياد، وعاودها المرض ولكن بشكل أخف. توفيت في عام ٢٠٠٧ في باريس وشيعت ودفنت في دمشق. (اكتشف سوريا، بلا تا، عن حياة الكاتبة ألفة الإدلبي).

٤. مظاهر الإغتراب في قصص ألفة الإدلبي :

برزت الكاتبة السورية ألفة الإدلبي في الظهور على ساحة الأدب عاكسة الظواهر الإغترابية في قصصها ورواياتها ، وتسعى هذه الدراسة لمعاينة تجلّيات الإغتراب ومظاهره وأنواعه في قصة من مجموعتها القصصية "ويضحك الشيطان".

٤-١. ملخص قصة "من أجل الأرض والكرامة":

تدور القصة في حي عربي من الاراضي الفلسطينية المحتلة حيث تنشط حركات المقاومة بعمليات بطولية ضد الاحتلال من تفجيرات واطلاق رصاص. بطلة القصة امرأة في الخامسة والثلاثين من العمر تعيش مع والدتها المجنونة على اطراف الحي منعزلتين عن باقي بيوته. قبل عشرين عاما قتل الصهاينة اخاها في دارهم امام اعينهم وآثار دمائه مازالت على باب الدار، فجنت الام ومات الاب من الاسى على ولده. المرأة تطعم الثوار من حين لآخر حين يمرون بالبيت . جارها المسن يقوم برعاية امها احيانا عند غيابها للتسوق. اراد خالها ان يأخذهم للعيش معه ولكنها رفضت لئلا يستولي الصهاينة على بيتها. يحدث ان تحصل عملية بطولية للثوار يقتحم على اثرها الصهاينة منزلها شاكين بإيوائها للثوار فيضربونها ويخربون البيت ومحتوياته ويرعبون امها المجنونة العجوز ويذلونهما وينصرفون. يأتي بعدهم مباشرة احد الثوار الجرحى ليطمئن على اهل الدار بعد اقتحام الصهاينة فتباشر المرأة بتضميد جراحه وتستفيق العجوز من جنونها وتعاود الكلام الطبيعي بقدرة الله متخذة الغريب الجريح عوضا عن ابنها الشهيد.(الإدلبي،٢٠٠٤: ١٦١-١٧٥).

٥. تجلّيات الإغتراب في القصة :

٥-١.الإغتراب السياسي :

لقد عانى الشعب الفلسطيني اشد ويلات الإغتراب فالإنسان الفلسطيني اما لاجئ مشرد مبعد عن ارضه ومنزله ولربما عن بعض اهله فيعاني إغتراباً مكانياً في وطن المنفى ، او مازال في وطنه يعاني الامرين في ذل ومهانة تحت نير الاحتلال فيعاني إغتراباً مكانياً ايضا كونه مقيد في حركته وفي احياء معزولة عن بعضها ممزقة وكل منها يماثل سجناً كبيراً ،وهذا ما ولد إغتراباً سياسياً يعانيه الشعب الفلسطيني تجاه حقوقه السليبة .يتجلى في هذه القصة الإغتراب السياسي بنوعيه الجمعي والمفرد. فسكان الاراضي المحتلة يعانون جمعاً إغتراباً سياسياً حاداً عبرت عنه الكاتبة ألفة الإدلبي باسلوب تقريري مباشر بالخوف الجمعي الذي يتبع عمليات المقاومة من انتقام من قبل قوات الاحتلال تطال الصغير قبل الكبير ويتبعه الترقب والقلق :

"منذ ظهروا على الساح اصبح للخوف مفهوم اخر ، صار يتسلل الى النفوس حين يصمت دوي الانفجار، حين لا تسمع لعلعة الرصاص او ازيز الرشيش، فاذا طال الزمن يومين او ثلاثة راح يعم النفوس ترقب قلق".(المصدر نفسه:١٦١).

تقول الكاتبة على لسانها وليس على لسان شخصية البطلة:

" امام دكان بقال في حي عربي من ارضنا المغتصبة "(المصدر نفسه:١٦١).

لتشير الى ان الأرض الفلسطينية ارض كل العرب بل كل المسلمين وألم اغتصابها اصاب الجميع وحالة الإغتراب السياسي الجمعي نتيجة سلب الأرض والحقوق ، يعاني منها كل عربي.

٥-٢.الإغتراب الزماني :

يتجمع بعض الناس امام دكان البقال ويتجاذبون الحديث ويعبرون عن سعادتهم عند سماع رصاص الثوار ، ومن الناس عجوز خانها التعبير عند وصف موقفها فعبَرت عما تعانيه من إغتراب زماني فهي تحيا على ذكرياتها وتجتر تجاربها الماضية مبتعدة قليلاً

عن زمانها الحاضر، ولم يمنعها حياء المرأة من البوح بحنينها لزمنها الماضي الجميل امام الغير:

" صحيح يا اخي .. انا والله حين اسمع لعلعة رصاصهم تعتريني نشوة مثل صبيّة صغيرة تتلقى اول رسالة حب " (المصدر نفسه:١٦٢) .

ان تراكب الانواع المختلفة من الآلام والمصائب ، سبب لدى الصبيّة بطلة القصة إغتراباً زمانياً ، فعلاقتها بالزمن يشوبها التفكك ، فلا تستطيع ان تحيا في عصرها الحاضر وراسها تملؤه ذكرياتها المؤلمة عن استشهاد اخيها :

" لم يستطع مقاومتهم وحده ، قتلوه امامنا !.. هل نسيت ؟!.. هذا دمه ما تزال آثاره باقية على هذا الباب ، ذكرى رهيبة !.. لن امحوها ما حييت!.."(المصدر نفسه:١٦٧).

ومن زاوية زمنية اخرى تقول أنها شاخت في عمر الخامسة عشرة أي انتقلت للمستقبل البعيد من قبل عشرين عاماً:

" امي جنت ، وابي مات كمداً ، وانا اغتيل شبابي منذ كنت في الخامسة عشرة ، شعرت انني قد شخت منذ تلك اللحظة."(المصدر نفسه:١٦٧).

. ولعل ما يجعل شخصية البطلة تعيش الإغتراب الزماني وتسكن في ساعة استشهاد اخيها ، هو جنون امها وتكرارها كلماتها المعهودة حيث تقول الصبيّة:

" انها تنام من الليل ساعة واحدة ، ولا تدعني انسى الفجيعة لحظة واحدة. كلما رددت امامي كلماتها اتخيل تلك الساعة الرهيبة ، يوم دخلوا بيتنا وقتلوه امامنا. لقد مضى على ذلك عشرون عاماً ولكأنه يحدث الآن امامي!.."(المصدر نفسه:١٦٦).

٥-٣.الإغتراب العاطفي :

الصبية بطلة القصة اغتيل شبابها فتوحي لنا الكاتبة بأن بطلتها قد تعاني من اغتراب عاطفي لانشغالها بأمها وذكرياتها وبالثوار فنسيت كيف يدق القلب لشخص اخر فتحدث نفسها عن أمها :

" هذه المجنونة أمي أعمت بصيرتي . لقد خاطني قدري اليها منذ كنت في ربيع العمر ، وأحسبني سأظل هكذا حتى النهاية !...."(المصدر نفسه: ١٦٤)

وأسلوب الظن والتساؤل واليأس العاطفي جلي هنا.

٥-٤.الإغتراب المكاني :

تطلق الكاتبة ألفة الإدلبي لقب "الصبيّة " على بطلة القصة مع ان عمرها يناهز الخامسة والثلاثين لتعلمنا ان المرأة ما زالت عزباء فباللهجة السورية يقال للعزباء دون سن الاربعين صبيّة ولا يقال امرأة. هذه الصبيّة احاطتها الكاتبة بشتى انواع الإغتراب لتشخنها بالجراح والآلام رمزاً لما تعانيه المرأة الفلسطينية .فهي عانت وتعاني من الاغتراب المكاني حيث يقع منزلها على اطراف الحي بشكل شبه منعزل عن باقي البيوت :

" كانت الطريق الى بيتها موحشة ، تكاد تكون خالية ، وكان صوت خطواتها التي تقرع اسفلت الشارع بصورة رتيبة يضايقها ، كأنه صدى لأفكارها المقتضبة الحاسمة.. حاولت ان تحد منه فلم تفلح، كما يتحتم عليها ان تسرع لتصل قبل ان يهبط الظلام ، وكان عليها ان تقطع كيلومترين كي تبلغ دارها القائمة على تخوم البلدة ،ضمن بيارة برتقال صغيرة"(المصدر نفسه:١٦٣).

٥-٥.الإغتراب الفكري :

ان البطلة تعاني إغتراباً فكرياً فلا يعجبها تصرف الشبان عند دكان البقال وهم يعلكون الاقاويل ولا يبادرون للأفعال ،صورته الكاتبة عن طريق المونولوج الداخلي لشخصية البطلة :

"لم اعد اطيق امثال هذه الثرثرات !..لم لا يحمل كل واحد بارودة ويجعل الرصاص يزغرد في كل بقعة من ارضنا المحتلة ؟ ما بال هذين الشابين يتسكعان ويضحكان؟؟ تمنيت لو أصفعهما".(المصدر نفسه: ١٦٢-١٦٣).

الكاتبة هنا ترمز للشباب العربي ، فأشارت الى الجزء وقصدت الكل، بل وتقصد الشعوب العربية ممثلة بشخصيتي الشابين المتسكعين دون مشاركة في المقاومة لإرجاع الأرض السليبة. فأفكار الكاتبة وإغترابها الفكري اجرته على لسان شخصية البطلة:

" عشرون عاماً ونحن نعيش في دوامة لا تنتهي ، قتل ، وتشرد ، وجنون ، وذل هوان ، ولا نفعل شيئاً سوى اننا نمثل المهزلة المأساة !.. يدينا مكبلة ، والسنتنا منطلقة وبهذا وحده نريد ان نكسب ضمير العالم !..هراء.. نحن نعيش على كوكب كافر عاهر

لا يذعن الا لمنطق القوة .. حين نطلق ايدينا ونكم افواهنا ونوحد صفوفنا نستطيع ان نهزم ضمير العالم".(المصدر نفسه:١٦٤).

ومن ظواهر إغتراب الصبية الفكري ، ما يرتديه شكلها ووجهها من تعابير ظاهرة وسلوك واضح لدرجة تثير الشك في تصرفاتها الاغترابية :

"تناولت الصبيّة قطعة الجبن دون ان تبتسم ، او تشارك في الحديث كما يبدو على وجهها شيء من الامتعاض وعدم الرضا .ولو لم يعرفها البقال حق المعرفة لشك في امرها"(المصدر نفسه:١٦٢).

ان هذه اللغة السردية الدقيقة في الوصف التي تتبعها الكاتبة ألفة الإدلبي ليست عبثية او كتبت بالصدفة او من تداعيات الكاتبة ، بل تريد منها ان تصور معالم الاغتراب للشخصيات بدقة عبر كليمات قليلة مكثفة .

٦-٥.الإغتراب الاجتماعي :

تسرد لنا الكاتبة ان من اسباب الإغتراب الاجتماعي للبطلة فقدانها لأخيها حين استشهد قبل عشرين عاماً وما زالت رهينة هذه الفاجعة لعشرين سنة وتسترجع ما حدث دوماً، هذا الشوق لأخيها الشهيد الذي قد يدفعها لتقبيل شخص غريب من الثوار المارين بمنزلها طلباً للطبيخ، لأنه يشبه اخاها :

" لم يكن لديها طبيخ! تمنت لحظتئذٍ لو ينقص من أجَلِها وتطبخ له.كان يشبه اخاها شبها غريباً ، وفي مثل عمره تماماً حين استشهد قبل عشرين عاماً ، تمنت لو تقبله ! ".(المصدر نفسه:١٦٣).

ان من تجلّيات الإغتراب الاجتماعي هو فقدانها لامها العجوز بجنونها الذي عزلها عن الجو العائلي، كما فقدت اخاها باستشهاده واباها بموته كمداً، وحتى الاب الشخصية الغائبة في القصة قد عانى من الإغتراب الاجتماعي بفقد ابنه الشهيد وعانى من المرض حتى وافته المنية ، وهذا الإغتراب الاجتماعي بفقد الاهل وبجنون الام جعل الصبيّة مقيدة ومجندة لمداراة الام:

" هذه المجنونة امي اعمت بصيرتي . لقد خاطني قدري اليها منذ كنت في ربيع العمر ، واحسبني سأظل هكذا حتى النهاية!.."(المصدر نفسه:١٦٤).

هذا يظهر الإغتراب الاجتماعي بعزلتها عن باقي سكان الحي و كيف يهاجم القلق حياتها عند ترك امها المجنونة في البيت لوحدها:

" من بعيد رأت باب سور البيارة مفتوحاً فاعتراها شيء من الرعب. – هل استطاعت أن تفتح الباب وتخرج وحدها ؟ وراحت تتقدم متوجسة ، متمهلة . – من عساه يكون هذا الرجل الذي يستند الى الباب ؟ انه خالها يقف أمام باب البيت ، ومعه كيس كبير . ما كاد يراها حتى هرع اليها يسألها : – ما الخبر؟ منذ خمس دقائق وأنا أطرق الباب ولا من يجيب ، كيف تركتها وحدها ؟ أين أبو مصطفى ؟... لقد بدأ الرجل يشيخ وما أدري من سيدبر أمورنا من بعده؟ "(المصدر نفسه:١٦٤، ١٦٥).

٥-٧.الإغتراب النفسي :

ان من مظاهر الإغتراب النفسي هو الشعور باللاانتماء ، وشخصية البطلة هنا لا تعاني هذا الإغتراب على الرغم من كل آلالمها ، فما زالت متمسكة بارضها حتى لو فقدت كل عائلتها بل روحها:

" آن لنا ان نفهم ، لاشيء يستحق الحماية سوى الأرض.. حين نحميها نحمي كل شيء.. انا لا اخرج من داري هذه الا جثة هامدة . حين اخرج سيحتل العدو مكاني حتماً. هذه هي الكارثة الكبرى ، وليس موته هو ، او موتك انت ، او موتي انا ، او جنونها هي ، او أي امر مهما يبلغ من الفظاعة."(المصدر نفسه:١٦٧).

والكاتبة هنا تلمح لحماية اللاجئين الفلسطينيين وتعبر عن افكارها بوجوب بقائهم في ارضهم وان لا يتركوها بذريعة طلب الحماية.

صورت الكاتبة ألفة الإدلبي شخصية الام التي جنت باستشهاد ابنها امام عينيها وغطت في اقصى حالات الإغتراب النفسي وتعيش في عزلة عن عالمها ولا تتذكر سوى استشهاد ابنها ودمائه الوردية اللون القانية الحمرة على باب الدار حتى بعد ان تحول لونها للبني المائل الى السواد ولا تردد سوى جملة واحدة لعشرين سنة :

" تنام في النهار وتصحو في الليل وتروح تدور في البيت من غرفة الى اخرى ، ثم تقف ساعات طويلة امام هذا الباب الذي ماتزال آثار دمائه باقية عليه الى الآن وتردد بما

يشبه الانين جملتها التي لم تعد تنطق من الكلام غيرها: هذا دمه ، انظري احمر وردي "(المصدر نفسه:١٦٥).

وهي تأبى ان تعترف باستشهاده:

" انها تأبى الا ان تراه وردياً"(المصدر نفسه:١٦٥).

ان من مظاهر الإغتراب النفسي عند الام هو ما حدث عند وقوع الانفجار الهائل، فأخذت الصبيّة تعامل امها كطفل برئ خائف لا يعرف من دنياه شيئاً:

" سحبت امها من يدها وأجلستها على حافة السرير ، وجلست الى جانبها واحاطت بذراعها كتفيها وراحت تهدهدها كطفل صغير :

- لا تخافي يا امي ، لا تخافي ، ما عساه يحدث اكثر مما حدث؟."(المصدر نفسه:١٧٠).

٥-٨.الإغتراب الديني (الروحي) :

عندما صورت الكاتبة ألفة الإدلبي شخصية البطلة ، وضعت فيها ما هو موجود عند الكثيرين من الشعوب العربية من إغتراب ديني او روحي نتيجة للانهزامات المتوالية والنكبات المتلاحقة فصاروا يشككون بقدرة الله عز وجل وارادته ويرون انه تخلى عنهم في شدائدهم ، ولعل هذا الإغتراب الديني عند الصبيّة قد اضفى عليها لمسة واقعية وهي من سمات أدب ألفة الإدلبي ، نستشف ذلك من هذا الحوار بين الصبيّة وخالها حول أخذ امها للمستشفى : "

- لماذا اذن ترفضين ان نأخذها الى مستشفى؟

- مستشفى؟ معاذ الله ، انا لا افارقها ابداً.

- انت ايضا لا تريدين ان تنسي.

- انسى؟ وهل فجيعتنا يا خالي من النوع الذي ينسى ؟

- ليس امامنا اذن الا ان نسال الله لها الشفاء.

- هأ هأ ، بعد جنون عشرين سنة؟ بعد ان تجمد شعورها عشرين سنة نامل لها ان تشفى؟؟

- ان الله يا بنتي على كل شيء قدير.

كادت ان تفلت منها جملة فظيعة استدركتها وقالت :

-استغفر الله العظيم..."(المصدر نفسه:١٦٦).

صورت الكاتبة ألفة الإدلبي كيف استيقظت العجوز من جنونها وإغترابها النفسي حين ضرب رئيس الجند ابنتها:

" فجأة صاحت المجنونة : بنتي ، بنتي وارتمت فوقها."(المصدر نفسه:١٧٢).

وحينما يدخل الثائر الجريح و دماؤه تنهال من كفه على الباب وعلى البقع البنية المائلة الى السواد وتغطيها بالأحمر القاني ، يخيل للعجوز ان ابنها الشهيد قد عاد وان انتظارها لم يذهب سدىً:

" – انظري الدم ... هل تستطيعين الآن ان تقولي انه ليس أحمر ورديّاً؟؟ "(المصدر نفسه:١٧٣)،

فتصحو من جنونها.

أما الصبيّة بطلة القصة فتبقي الجريح عندها لتعالجه ، وكأن اخاها الشهيد أحمد عاد من جديد ليشفيها من وذكرياتها المؤلمة ، ويشفيها من إغترابات وحتى الديني منها ، حيث آمنت أن الله على كل شيء قدير وانه قادر على شفاء والدتها من الجنون ولو بعد حين :

" – أستغفرك يا إلهي – أستغفرك وأتوب اليك ، حقاً انك على كل شيء قدير. والتفتت الى الشاب وقالت له : – هذه امي جنّت ، وتجمد شعورها عشرين عاماً ولما رأتك أنت استردت وعيها في لحظة ، لقد أيقنت أن تضحيتها لم تذهب سدىً."(المصدر نفسه:١٧٥).

٦.اسلوب التمرد الثوري أو اسلوب الخضوع كبدائل :

والبطلة هنا تلوم نفسها وتوبخها لاعتقادها ان نفسها لا تتخذ سبيل التمرد الثوري ردا على إغترابها السياسي والاجتماعي كما ينبغي ، بل تعتقد انها تتخذ سبيل الخنوع والخضوع كسلوك بديل:

" آه لو استطيع ان اعمل شيئاً يرضيني عن نفسي ، ان اشارك في عمل بالغ ما بلغ من الخطر ، انا لا اشعر بالخوف مطلقا من أي شيء. عشرون عاماً وانا امضغ الذل مع كل لقمة ، واشرب الهوان مع كل جرعة، ولا افعل شيئاً ، سوى انني اجتر مأساتي ، كأنني تحنطت على هذا الشكل."(المصدر نفسه: ١٦٨-١٦٩).

تصور الكاتبة رد فعل الشخصية البطلة على إغترابها المتعدد الانواع، والسلوك البديل للخلاص من الاغتراب ،وهو طريق التمرد الثوري المتضح على هيئتها وتصرفاتها وفعالها :

"كانت طويلة نحيلة ، لعينيها العميقتين اللامعتين نظرات قاسية متحدية ، شملت بها الشابين حين خرجت من الدكان ، وراحت تسرع الخطى".(المصدر نفسه:١٦٢).

حينما طلب خال الصبيّة منها ان تأتي وامها الى داره لحمايتهما لان الصهاينة يقتحمون البيوت على اهلها متى شاءوا، انتفضت الصبيّة :

" قبل ان يتم كلامه وثبت من مكانها كقطة متوحشة ووقفت امامه وقالت بحدة وانفعال: ارجوك يا خالي لا تلفظ امامي كلمة حماية هذه"(المصدر نفسه:١٦٧)

وهذا مظهر اخر لسلوكها البديل كتمرد تجاه إغترابها السياسي.

ان للصبية القدرة الثورية والتمرد الكافي كرد على إغتراباتها الاخرى ، فهي ترتعب خوفا على والدتها المجنونة لئلا تهرب من الدار عند غيابها للتسوق، ولكنها لا ترتعب من صوت الانفجار الهائل كالزلزال نتيجة عملية مقاومة للثوار ضد الاحتلال مع ان قلبها يخفق بعنف ولكن عقلها لديه من رباطة الجأش ما يلجم قلبها :

" ما كادت تدخل الغرفة حتى دوى انفجار هائل زلزل منه البيت حتى خيل اليها انه سيتداعى فوق راسها. راح قلبها يضرب بقوة وعنف ، على الرغم من انها تشعر بشيء من الرعب.

- لاشك انهم نسفوا المخفر الصهيوني القريب من هنا . كنت كلما امر من امامه اتمنى لو ان معي قنبلة لأقذفها في وجه رئيسه الذي كان يتحدى المارة بنظرات حاقدة ، شامتة ، لئيمة."(المصدر نفسه:١٦٩).

عززت الكاتبة وجهة نظرها في تصوير التمرد ضد الاغتراب السياسي والاجتماعي عند البطلة بتفاصيل اكثر، فبعد حدوث الانفجار واقتحام جنود الاحتلال لمنزلها لم تخف :

" لم ترتعد حين رأتهم ، كأنها قد اعدّت نفسها لأسوأ الامور. وقفت امامهم صامدة متحدية ، وأمها وراءها تتكئ على كتفها وتتطلع اليهم بنظراتها الهالعة الزائغة. لم يتغير شيء !.. انهم هم هم كما جاءوا قبل عشرين عاماً."(المصدر نفسه:١٧٠).

وحين خاطبها احد الجنود:

" قال بسخرية شامتة :

-وانت مالكِ؟ لمَ لمْ تجنّي مثلها الى الآن ؟؟

ابتسم بعض الجنود. أجابته بعدم اكتراث.

- امر الله .. ما زلت قادرة على احتمالكم!

- حسنا قولي لنا الآن : ألم يختبئ عندك احد من هؤلاء المجرمين المخربين؟؟

اجابته باعتزاز :

-أتقصد الفدائيين؟

- يا وقحة أتجرئين على تسميتهم بالفدائيين ؟ وأمامي أيضاً وارتفعت يده وهوت على وجهها بلكمة اطاحت بها الى الأرض."(المصدر نفسه:١٧١).

حين هددهما رئيس مجموعة جنود الاحتلال بالا تؤويان احدا من الثوار والا نسف بيتهما في لحظة كي تعانيا الاغتراب المكاني بفقد المنزل والتهجير كما يعانيه غالبية الشعب الفلسطيني:

" – اياكِ ان تأوي أحداً منهم ، والا نسفنا البيت في لحظة. لم تردّ عليه بكلمة كأنها لم تسمع ما يقول . ظلت هي وأمها قاعدتين على الأرض مستسلمتين الى قدرهما بصمت ذليل قاهر ، كانت تغالب الدمع وتبتلعه خشية أن تثير شماتتهم"(المصدر نفسه:١٧٢)،

وهذا ايضا من علامات قوة التمرد والغضب والمكابرة لدى الصبيّة.

لقد قامت الكاتبة بتصوير شخصية الخال بان لديه نوع من الانهزامية والانسحاب كرد على الاغتراب السياسي الذي يعيشه كغيره من الفلسطينيين في الاراضي المحتلة ، ومثلته بانسحابه من التزامه ببساطة تجاه اخته وابنتها الوحيدتين وتركهما دون ان يلح في حمايتهما مع انه يشعر بهما ويريد المساعدة، وهو شأن الشعوب العربية ومواقفها تجاه الشعب الفلسطيني ، فتقول البطلة:

" قم يا خالي عد الى دارك قبل ان يسود الليل ، ولا تخش علي شيئاً ، انني استطيع ان احمي نفسي بنفسي. لم يجد ما يجيبها به ، فقام متثاقلاً وودعها وخرج من الدار وهو يشعر انه قد تخفف من واجب ثقيل."(المصدر نفسه:١٦٨).

٧. النتيجة :

١. ان ظاهرة الإغتراب في قصة الكاتبة ألفة الإدلبي " من أجل الأرض والكرامة"، تجلت في سلوك وتصوير الشخصيات الرئيسية (الصبيّة وامها)والثانوية(الخال والناس عند دكان البقال والاب) وفي المكان (الأرض المحتلة المغصوبة و منزل الصبيّة على تخوم الحي بمعزل عن بيوتات الحي) والزمان(زمن استشهاد الابن وموت الاب وجنون الام والذل لعشرين عاماً وزمن الكلام لا الجهاد).

٢. لقد تجلت عدة انواع من الإغتراب في هذه القصة ومن بينها : الاجتماعي، المكاني ، النفسي ،الزماني، الفكري، السياسي ، العاطفي والديني.

٣. تنوعت اساليب رد الفعل البديل للإغتراب عند مختلف الشخصيات من تمرد ثوري فردي وجماعي ،انهزامي وانسحابي ولا مبالاة ، خضوع واستسلام ، العيش في الذات المرهقة المريضة ، الاستعاضة عما فقد بما هو موجود لسد النقص المؤدي للإغتراب. وتُكثر الكاتبة من السلوك التمردي الثوري ايماناً منها بانه الرد الامثل على الإغتراب.

٤. الكاتبة ألفة الإدلبي كما هو الحال في اغلب قصصها تعير للموت وللمعاناة النفسية وللإغتراب القدر الاكبر من اهتمامها ولكن في الخاتمة تعالج المشكلة وتنقذ ابطالها.

٥. تنوعت أساليب الكاتبة السردية في بيان معالم الاغتراب عند الشخصيات ، فتارة تستعمل السرد التقريري المباشر لتصف البيئة بهدوء للمتلقي ، وتارة تترك الشخصيات تتحدث عن نفسها وما يخالجها من مشاعر عن طريق الحوار او عن طريق المونولوج الداخلي او التداعي والاسترجاع.

٦. تكاد تكون رمزية القصة واضحة للجميع وان الكاتبة تعالج قضية مجتمع وأمّة وارض ، وتدرج افكارها الشخصية وايدولوجيتها عن طريق القصة وشخوصها.

٧. كانت القصة مليئة بالألفاظ الدالة على الغربة والإغتراب ومنها : الضياع ، الحزن ، الصمت ، الموت ، الظلام ، السواد ، الرعب ، الوحدة ،... وغيرها من الالفاظ.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن منظور،(١٩٩٤م)، لسان العرب، ط٢،المجلد١، دار صادر، بيروت.
- ابو شاويش، حماد حسن؛ عواد، ابراهيم عبد الرزاق.(٢٠٠٦)،الاغتراب في رواية "البحث عن وليد مسعود " ، مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الاسلامية) ، المجلد ١٤، العدد ٢ ، صص١٢١-١٦٩.

- الإدلبي ، ألفة.(٢٠٠٤)،مجموعة- ويضحك الشيطان،ط٣،دمشق،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- الرازي، محمد ابن ابي بكر،(١٩٨٦م)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت.
- العطواني، قيس صبيح، (بلا تاريخ)،بحث في: التمرد في شعر الاغتراب عند بلند الحيدري، بغداد، الجامعة المستنصرية، كلية التربية.
- بركات ، حليم .(٢٠٠٦م)، الإغتراب في الثقافة العربية- متاهات الانسان بين الحلم والواقع، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- جعفر، محمد راضي، (١٩٩٩م)،دراسة في: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر- مرحلة الرواد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، بغداد.
- خليفة، عبد اللطيف(٢٠٠٣م)، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- بن عيش، زهرة.(٢٠١٥) ، الغربة والاغتراب في رواية غائب طعمة فرمان: رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة محمد بوضياف.
- صدقي ، حامد ؛ حسيني ، عبد الله.(٢٠١١م)،مشكلة الإغتراب الاجتماعي في المكان الضد-قراءة في رواية الحي اللاتيني، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة،العدد٤،شتاء١٣٨٩ش:صص٣٥-٥٨.
- فريحات ، مريم جبر.(٢٠١٠)،الحس الإغترابي في اعمال روائية لغسان كنفاني، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد ٣+٤ ،٢٠١٠م،صص٢٨٩-٣٣١.
- مبارك، بشرى عناد.(بلا تاريخ)، الاغتراب الاجتماعي وعلاقته بالحاجة الى الحب، مجلة كلية الاداب،العدد٨٥،العراق،جامعة ديالى.
- نعيسة، رغداء.(٢٠١٢)،الاغتراب النفسي وعلاقته بالأمن النفسي- دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق القاطنين بالمدينة الجامعية، مجلة جامعة دمشق،المجلد٢٨، العدد٣،صص١١٣-١٥٨.
- يونسي، كريمة،(٢٠١٢م)، رسالة ماجستير في: الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الاكاديمي لدى طلاب الجامعة، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر.
- موقع اكتشف سوريا، عن حياة الكاتبة ألفة الإدلبي:
www.discover-syria.com/news/2777